إيضاح الحكمة

في شرح بداية الحكمة

جَمِيعُ الحُقوقِ مَحفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون وفاكس: ٨٣٤٢٦٥ - ٣١٧٤٢٥ - تلكس: MCS٢٠٧٧٧-٢٢٥٩٧ بلاغ -

ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان.

إيضاح الحكمة
في شرح بداية الحكمة

تأليف

علي ربّاني كلبيكاني

ترجمة

الشيخ محمد شقير

الجزء الأول

دار الهادي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

أعظم السلام وأتم التسليم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

يوجد في المكتبة الفلسفية الإسلامية كتب متعددة كبداية الحكمة ونهاية الحكمة للعلامة الطبطبائي ﴿قدس سره﴾ ، والمنظومة للسبزواري ﴿قدس سره﴾ ، والاسفار لصدر المتألهين ﴿قدس سره﴾ وغيرها ، ويبدأ طلبة الحوزات ـ عادة وغالباً ـ في تسلسل دراستهم الفلسفية بدراسة كتاب بداية الحكمة ، ولا بد لهذا الكتاب أن يدرس من خلال الأساتذة ، ومع ذلك من المهم أن ترفق الإستعانة بالاستاذ بوجود نصٍّ شارحٍ لمتن البداية يرجع اليه الطالب ، لعله يوجد نقاط لم يُلتفت لها في الدرس ، أو من أجل المراجعة (الاستذكار) ، أو من أجل تحضير الدرس مسبقاً ، أو أنّ البعض يمتلك من القدرة الذهنية والمعلومات والثقافة الفلسفية ما يؤهله لتجاوز المرحلة الاولىٰ هذه دون مدرس .

ويوجد في المكتبة الفارسية ما يسدّ هذه الحاجة ، ولكن المكتبة العربية تخلو من أي كتاب يقوم بهذه المهمة . ولذا وجدنا أنه من المهم جداً ترجمة شرح بداية الحكمة لعلي رباني گلبيگاني المدرس في مؤسسة الامام الصادق عليه السلام التابعة لآية الله الشيخ جعفر السبحاني .

ومما يتعلق بمنهج الترجمة فقد قمنا بنقل الكتاب الى العربية طبق صورته الاصلية ، إلّا في بعض التصرفات اليسيرة التي يتطلبها النص العربي .

وتوخياً للدقة فقد قمنا بمراجعة ترجمة الكتاب مرتين فضلاً عن مراجعة الاستاذ الشيخ الگلبيگاني لها .

وقد وجدنا في الكتاب مميزات مهمة لا بد من ذكرها :

١ ـ أن الشارح هدفه الاساسي تبسيط الفكرة وتقريبها قدر المستطاع الى ذهن الطالب .

٢ ـ يعمد الى إبراز وبإسلوب واضح الفكرة الاساسية التي يدور البحث حولها .

٣ ـ اعتمد المنهج الموضوعي في سرد البحث ، وابتعد عن المنهج التجزيئي، الذي قد يحرف ذهن الطالب عن لبّ الموضوع .

٤ ـ لم يدخل في مباحث استطرادية ، إلا فيما إذا كان الاستطراد يخدم الفكرة في مورد البحث .

وتبقى ملاحظات لا بد من الاشارة اليها :

الاولى : أنه قد نقلنا المصادر والمراجع المذكورة في الهوامش كما هي عليه في النسخة الفارسية .

الثانية : في الموارد التي تكون التعليقة على المتن من الشارح فقد وضعنا للتمييز عن المؤلف حرف (ش) .

نسأل الله القبول ولي التوفيق

محمد شقير ـ قم

الجمعة ، ٥ ذي القعدة

١٤١٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

١ ـ نظرة عابرة إلىٰ تاريخ حياة المصنف العلامة ﴿قدس سره﴾.
٢ ـ المدرسة الفلسفية للحكيم الطبطبائي ﴿قدس سره﴾.
٣ ـ مزايا البداية والنهاية وتفاوتهما.
٤ ـ خصائص المرحلة الابتدائية للحكمة.
٥ ـ الشرائط اللازمة لتحصيل الفلسفة.
٦ ـ ارتباط الفلسفة مع العلوم الطبيعية.
٧ ـ لزوم الاطلاع على المدارس الفلسفية الغربية.
٨ ـ دافع ومنهج الشرح.

١ ـ نظرة عابرة إلىٰ حياة المصنف العلامة.

يجب قبل كل شيء ان نلقي نظرة عابرة إلىٰ تاريخ الحياة والشخصية العلمية للمصنف الكبير لبداية الحكمة الحكيم المتأله العلامة الطبطبائي ﴿قدس سره﴾ ، وأن نتعلم الدروس الأخلاقية والتربوية في بداية الطريق ضمن التعرف على سيرته العلمية والعملية لنكدح في مسيرة العلم والعمل.

ولد العلامة الطبطبائي ﴿قدس سره﴾ في تبريز في ٢٩ ذي الحجة الحرام ، ١٣٢١ هجري قمري المطابق مع ١٢٨١ هجري شمسي ، وتوفي في الساعة ٩ من صباح يوم الأحد ١٨ محرم الحرام ١٤٠٢ هـ ق المطابق مع ٢٤ آبان ١٣٦٠ هـ ش.

مرحلة التحصيل والفعالية العلمية :

بدأ في التاسعة من عمره التحصيل في المدارس الجديدة عندما فقد أبويه وتعلم في حدود سبع سنوات وفي جنب تعلمه للقرآن الكريم كتب « گلستان » و« بوستان » لسعدي و « أخلاق مصور » و « أنوار سهيلي » و « تاريخ معجم » و« منشآت أمير نظام » و «ارشاد الحساب » و « نصاب الصبيان » وقد كان تعلمهم متداولاً في ذلك الزمان ، وتعلم حسن الخط من المرحوم « آقا ميرزا علي نقي ».

وشرع بعدها في سنة ١٢٩٧ في سن السادسة عشر بتعلم العلوم العربية ، وتعلم « الأدبيات » والسطوح العالية في مدة سبع سنوات عند الأساتذة المعروفين في تبريز ، وسافر في سنة ١٣٠٤ هـ ش إلىٰ حوزة النجف الأشرف لتكميل التحصيلات ، واستفاد من الاقامة هناك حوالي أحد عشر سنة من محضر فيض المحققين المرموقين في فروع الفقه والأُصول والفلسفة والرجال .

والأساتذة الذين كان يراود درسهم هم :

١ ـ آية اللّه ميرزا النائيني.

٢ ـ آية اللّه أبو الحسن الأصفهاني.

٣ ـ آية اللّه الشيخ محمد حسين الأصفهاني المعروف بـ« الكمپاني » الذي استفاد من محضره مدة عشر سنوات.

٤ ـ آية اللّه السيد محمد حجت.

٥ ـ الحكيم الإلهي المرحوم السيد حسين باد كوبه اى.

٦ ـ المرحوم السيد أبو القاسم الخوانساري الذي كان من الرياضيين المعروفين.

٧ ـ آية اللّه الحاج الميرزا علي الايرواني مؤلف الحاشية على الكفاية والمكاسب.

٨ ـ آية اللّه الميرزا علي أصغر ملكي.

٩ ـ العارف العظيم الشأن المرحوم آية اللّه الحاج الميرزا علي قاضي الطبطبائي ﴿قدس سره﴾ الذي تعلم عنده الأخلاق والعرفان والمنهج الصحيح للسير والسلوك المعنوي وكان له دور في رسم الشخصية العرفانية والمعنوية للمرحوم العلامة.

الرجوع إلىٰ مكان الولادة : رجع في سنة ١٣١٤ إلىٰ تبريز لأسباب ذكرها في تقرير حياته وبقي فيها حوالي العشر سنوات ونيف مجهولاً كجوهرة في مكان خرب.

الهجرة إلىٰ قم : قصد قم في سنة ١٣٢٥ (هش)، والنقطة الملفتة أن سبب سفره إلىٰ قم انّه تفآل بالقرآن فجاءت هذه الآية : ﴿ **هنالك الولاية للّه الحق هو خير ثواباً وخير عقباً** ﴾ الكهف، ١٤٤، وقد داوم باهتمام على التدريس والتأليف من لحظة مجيئه إلىٰ قم وحتى لحظة وفاته التي استمرت خمسة وثلاثين عاماً.

تدريس التفسير والفلسفة : ويقول في هذا المجال :

«عندما أتيت إلىٰ قم ألقيت نظرة على البرنامج الدراسي الحوزوي ووزنته مع حاجات المجتمع الإسلامي، وقيّمت النقائص الموجودة فيه واعتبرت أن وظيفتي السعي لرفعها، وأهم النقائص التي كانت موجودة في برنامج الحوزة هي في مجال تفسير القرآن والبحوث العقلية، ولذا بدأت بدرس التفسير ودرس الفلسفة، ومع انّه في ذلك الزمان لم يكن يعتبر تفسير القرآن علماً يحتاج إلىٰ التحقيق والتدقيق، ولم يكن يعد القيام به لائقاً لمن كانت له القدرة على التحقيق في مجالات الفقه

والأُصول، بل كان يعتبر علامة على نقص المعلومات ؛ ومع ذلك لم أعتبرها عذراً مقبولاً لي أمام اللّه تعالىٰ واستمريت به حتى انهيت تفسير الميزان ».

منهج التدريس : نشير إلىٰ النقاط التي ذكرها بعض تلامذة المرحوم العلامة في مورد منهج تدريسه :

أ ـ اجتناب الاستطراد وتركيز الكلام حول الموضوع مورد البحث.

ب ـ بيان المطالب العالية في عبارات قصيرة ودقيقة ، والاجتناب من الألفاظ والعبارات المستهلكة.

ج ـ ايضاح موضوع البحث بشكل كامل.

د ـ الاجتناب عن الكلام الشِعري في البحوث العقلية والفلسفية والاستفادة من الاستدلال البرهاني.

هـ ـ تكريم مقام العلماء واحترام مقامهم العلمي ، وعدم اللوم حتى لمن نقد كلامهم.

و ـ الالتفات التام لاشكالات التلامذة ومراعاة احترامهم.

ز ـ التواضع والمتانة في الاجابة على الاشكالات ، وعدم التسرع في الاجابة وعدم الإباء عن الإعتراف بعدم معرفة الجواب ، واستعمال هذه الجملة أنّه : « يجب أن نرىٰ » ومثلها.

المؤلفات : يعد الحكيم الطبطبائي ﴿قدس سره﴾ من الشخصيات الموفقة في العالم الإسلامي ومن الأفراد الذين تقلّ أمثالهم ، وقد ذكره الإمام الخميني ﴿قدس سره﴾ في رسالة تعزيته بمناسبة وفاته كواحد من أكبر المفاخر العلمية للعالم الإسلامي ودنيا العلم والمعرفة ، واعتبر أن مؤلفاته في حقل التفسير والفلسفة والفقه والأُصول وبقية العلوم الإسلامية قيّمة ومورد لإستفادة العلماء في أكبر المجامع العلمية ، وقد ترك هذا

المفكر الكبير آثاراً علمية قيّمة أهمها التفسير الشريف والقيّم الميزان ، حيث جاء في تعبير بعض المحققين ان مكانة الميزان بين التفاسير الأُخرىٰ بمثابة مكانة جواهر الكلام بين الكتب الفقهية الأُخرىٰ، وحسب قول المفكر الشهيد مطهري (رحمه اللّه) أنّه لم يكتب تفسير مثله من بداية تأليف التفسير إلىٰ الآن ، فعندما توفقت مرة للمطالعة في حقل معارف القرآن ، كنت عندما تواجهني مشكلة في مجال المعارف اراجع التفاسير المختلفة فلا أجد ضالتي إلاّ في تفسير الميزان . ويوجد في هذا المجال كلام كثير ليس الآن مجاله ، فعلىٰ أمل أن يأتي يوم يأخذ فيه هذا الأثر النفيس مكانته في الحوزات والمحافل العلمية.

إذا تجاوزنا تفسير الميزان فإن أهم مؤلفات العلامة هي آثاره الفلسفية التي كتبت بصورة كتب ورسائل مختلفة ، وكان كل منها مثمراً وموصلاً للهدف من تأليفه، ومن بين آثاره الفلسفية تتميز ثلاثة آثار بالأهمية هي : « أُصول الفلسفة والمنهج الواقعي » و «بداية الحكمة » و « نهاية الحكمة » .

الهدف من كتابة الكتاب الأول وكما قال الشهيد مطهري ﴿قدس سره﴾ هو :

« ايجاد نظام فلسفي عالي على أساس الاستفادة من الجهود الثمينة طيلة ألف سنة للفلاسفة المسلمين ، وثمرة التحقيقات الوسيعة والعظيمة لعلماء الغرب مع الاستعانة بقوة الإبداع والإبتكار ، ولذ فقد طرحت في هذه السلسلة من المقالات المسائل التي كان لها دور أساسي في الفلسفة القديمة ، والمسائل الحائزة على الأهمية في الفلسفة الجديدة ، ويصل إلىٰ أقسام ليس لها سابقة لا في الفلسفة الإسلامية ولا في الفلسفة الأُوروبية»[1] .

---

١ ـ أُصول فلسفه وروش رئاليسم ، مقدمه جلد دوّم.

أمّا كتابا البداية والنهاية فقد كتبا كمتن دراسي في الحوزات العلمية ، وهما الآن معروفان كمتن دراسي فلسفي ، ويتميزان بالنسبة إلىٰ سائر المتون الفلسفية بمزايا سنذكرها لاحقاً.

المدرسة الفلسفية للحكيم الطبطبائي ﴿قدس سره﴾ :

المقصود من المدرسة الفلسفية الطريقة الخاصة والمبادىء المعينة التي يستفاد منها في دراسة المسائل الفلسفية ، وقد ظهرت أربع مدارس ومناهج فلسفية وعرفانية بين الفلاسفة وأصحاب العرفان والشهود.

المدرسة الفلسفية المشائية : وأُسلوب البحث في هذه المدرسة الفلسفية هو التفكير البرهاني والاستدلال العقلاني ، ويعبرون عنه بالحكمة البحثية ، والفلسفة المشائية .

وقد ذكر الحكيم السبزواري في وجه تسميتهم بهذا الاسم أنهم : « **يكتفوا بمجرد النظر والبيان والدليل والبرهان ، فيقال لهم : المشاؤن ، فإن عقولهم في المشي الفكري ، فان النظر والفكر عبارة عن حركة من المطالب إلىٰ المبادىء ومن المبادىء إلىٰ المطالب** »[1] .

الفكر حركة إلىٰ المبادىء ومن المبادىء إلىٰ المراد .

والممثل البارز لهذا الأُسلوب من البحث بين الفلاسفة المسلمين هو الشيخ الرئيس ابن سينا الذي لقب برئيس المشائين ، وكان ارسطو من بين فلاسفة اليونان

---

١ ـ شرح الأسماء الحسنىٰ ، ص ٧٦.

القدماء، وجون دكارت (م / ١٦٥٠ م) واسپينوزا (م / ١٦٧٧)، ولايب نيتس (م / ١٧١٦) من انصار التفكير العقلاني.

مدرسة العرفان والشهود الباطني : واختار بعض محقق المسائل المرتبطة بالوجود وخالق العالم طريقة العرفان والمعرفة الشهودية، واعتبروا أن العقل ليس أقدر منها ليكون موفقاً في مسيرة المعرفة. وفي عقيدتهم أنّه يجب ان يُهتم قبل كل شيء بتصفية القلب وان تشاهد الحقيقة عن طريق الباطن. والممثل البارز لهذه الطريقة هو محيي الدين بن عربي (م / ١٦٣٨) المعروف بالشيخ الأكبر. ويُذكر افلاطون من بين حكماء اليونان القدماء كحكيم إلٰهي وكتابع لطريقة المعرفة الذوقية، ويعتبر من أنصار هذه الطريقة من بين فلاسفة أوروبا الحديثين أشخاص مثل پاسكال (م / ١٦٦٢ م)، وبرغسون (م / ١٩٤١ م)، وإن كان يوجد فروقات بين منهجهم ومنهج العرفاء المسلمين.

٣ ـ المدرسة الفلسفية الإشراقية : والطريقة الاشراقية هي طريقة تجمع الطريقتين السابقتين، أي انها تستفيد من التفكير والاستدلال البرهاني لكنها لا تعتبره كافياً لنيل المعرفة، وعلى أساس هذه العقيدة يجب أن يستفاد بالإضافة إلىٰ ذلك من الطريقة الذوقية والعرفانية، ويقول الحيكم السبزواري بالنسبة إلىٰ تسميتهم بالاشراقيين : « **لتجافيهم عن عالم الغرور واجتنابهم عن قول الزور مستشرفون إلىٰ عالم النور فيشملهم العناية الإلهية بإشراقات القلوب وشرح الصدور** »[1].

---

١ ـ المصدر السابق.

والوجه البارز ، بل والمبتكر لهذه الطريقة هو شهاب الدين السهروردي (م/٥٨٧) المعروف بشيخ الإشراق ، وان كان قد اعتبر في مقدمة كتاب « حكمة الاشراق » جماعة من حكماء اليونان القدماء ومن جملتهم فيثاغورس وافلاطون من أنصار الحكمة الذوقية والإشراقية ، وذكر افلاطون على انه رئيس الاشراقيين ، ولكن وبقول المرحوم مطهري ﴿قدس سره﴾ أنّه قد حصل على المنهج الاشراقي تحت تأثير العرفاء والمتصوفة المسلمين ، ومزج الاشراق والاستدلال من ابتكاره ، ولعله لكي يجعل نظريته مقبولة بشكل أفضل ذكر جماعة من قدماء الفلاسفة على أنّهم على هذا المشرب [١].

وفي الطريقة الإشراقية تُقدم المعرفة العرفانية والشهودية على المعرفة العقلية والبرهانية ، أي انّه يحصل أولاً على الحقيقة بصورة شهودية وحضورية عن طريق المجاهدة الباطنية والتزكية والتصفية الداخلية ثم يقوم بالدراسة العقلية على أساس طريقة الإستدلال البرهاني . وبقول شيخ الإشراق :

« حتى لو قطعت الحجة مثلاً ما كان يشككني فيه مشكك » [٢].

والخاصة الأُخرىٰ لحكمة الإشراق فضلاً عن الاستفادة من الطريقة العرفانية و البرهانية انها تستفيد أيضاً من المفاهيم والمعارف الدينية ، وتستند على الحكمة الإيمانية فضلاً عن الحكمة العرفانية والبرهانية . ويقول شيخ الإشراق في كتاب «الألواح العمادية » (ص ١٢) :

« وأوردت فيه جملاً من اللطائف ـ... وبرهنت فيه على المباني ، ثم استشهدت بالسبع المثاني » [٣].

---

١ ـ آشنائي با علوم اسلامى ، منطق وفلسفة ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

٢ ـ شرح حكمة الإشراق ، ص ١٦.

٣ ـ رسائل : الألواح العمادية ، كلمة التصوف ، اللمحات . مع تصحيح ومقدمة من : نجفقلي

ويقول في كتاب «كلمة التصوف» من الفصل الأول: «**كل دعوىٰ لم تشهد بها شواهد الكتاب والسنة فهي من تفاريع العبث وشعب الرفث**».

وعلى ما تقدم فإن طريقة وأُسلوب البحث في الفلسفة الإشراقية مبنية على أُسس ثلاث:

١ ـ تزكية النفس وتصفية الباطن وتحصيل المعرفة الشهودية.

٢ ـ التفكير العقلاني والاستدلال البرهاني وتحصيل المعرفة البرهانية.

٣ ـ الإستشهاد بالآيات والروايات وتحكيم المعرفة الإيمانية.

٤ ـ المدرسة الفلسفية للحكمة المتعالية:

لا تتفاوت طريقة البحث في الحكمة المتعالية مع طريقة البحث في الفلسفة الإشراقية تفاوتاً جوهرياً، لان صدر المتألهين ﴿قدس سره﴾ ـ المنسوبة إليه الحكمة المتعالية ـ قد مزج طريقة البرهان والعرفان، واستفاد أيضاً من المفاهيم والمعارف الدينية، وبيّن توافق الحكمة العرفانية والبرهانية والإيمانية، وهو وان شيّد أسساً أرقى في هذا المجال ووصل الى مرحلة أرفع بالنسبة إلىٰ شيخ الإشراق، ومع ذلك تعد الحكمة المتعالية لصدر المتألهين ﴿قدس سره﴾ مدرسة فلسفية خاصة تمتاز عن المدرسة الفلسفية الإشراقية، ويعود هذا إلىٰ الأُصول والمباني الخاصة التي أسسها أو أحكمها صدر المتألهين ﴿قدس سره﴾، وأقام بحوثه الفلسفية على أساسها.

وأهم أصوله: أصالة الوجود، والتشكيك في حقيقة الوجود والحركة

حبيبي. الجمعية الفلسفية الإيرانية. ١٣٩٧ هـ ق، وقد طبعت في مجلد واحد.

( ) رسائل الألواح العمادية، كلمة التصوف، اللمحات. مع تصحيح ومقدمة من نجفقلي حبيبي. الجمعية الفلسفية الإيرانية. ١٣٩٧ هـ ق. وقد طبعت في مجلد واحد.

الجوهرية و...[١]

والآن نقول ان الحكيم الطبطبائي ﴿قدس سره﴾ هو من أنصار المدرسة الفلسفية للحكمة المتعالية وأُصولها ومبانيها. ولكن يوجد هنا نقطة يجب الالتفات إليها انه لا يظهر في ابحاثه الفلسفية طريقة سوىٰ البرهان والاستدلال النظري والعقلي، وعلى خلاف الحكيم السبزواري وحتى صدر المتألهين ﴿قدس سرهما﴾ اللذان استفادا كثيراً من المطالب الذوقية في دراسة المسائل الفلسفية واستخدما المصطلحات والتعابير العرفانية، فإن المرحوم الطبطبائي ﴿قدس سره﴾ قد استفاد فقط من طريقة الاستدلال العقلية و البرهانية، ولم تدخل بحوثه المطالب الذوقية والمصطلحات العرفانية. ويعد هذا الأمر من نقاط القوة ومزايا متونه الفلسفية (كما سيبين لاحقاً).

وكما ذكرنا انّه من اتباع طريقة صدر المتألهين ﴿قدس سره﴾ في الأُصول والمباني الفلسفية، ولكنه يستفيد في أُسلوب البحث من البراهين العقلية فقط، ولذا فهو أقرب من هذه الجهة إلىٰ الطريقة الفلسفية المشائية من المدارس الفلسفية الأُخرىٰ، ولذا يمكن القول بالنسبة إليه أن:

«الحكيم الطبطبائي صدرائي المبنى وسينوي المشرب».

مزايا بداية الحكمة ونهاية الحكمة:

لكل من الكتابين المذكورين بالنسبة إلىٰ المتون الفلسفية الأُخرىٰ مزايا نذكر بعضها:

١ ـ الإستفادة من الأُسلوب البرهاني: كما ذكرنا فإن أُسلوب بحوث المرحوم الطبطبائي ﴿قدس سره﴾ هو أُسلوب البرهان والمجتنب عن استعمال المطالب الشعرية

---

١ ـ بالنسبة إلىٰ تميّز منهج الحكمة المتعالية عن المناهج الفلسفية الأُخرىٰ يرجع إلىٰ كتاب: «اشنايى با علوم اسلامى ـ منطق وفلسفه»، ص ١٥٧.

وحتى الذوقية في دراسة المسائل الفلسفية . ورعاية هـذا الأمـر لازم وضروري للمتن الفلسفي الكلاسيكي ، وفضلاً عن أنّه مفيد في تبيين وتفهيم المفاهيم الفلسفية فإنّه يوجب إستئناس فكر طالب الفلسفة بأُسلوب الاستدلال المنطقي والتعمق في الحقائق الكلية والمجردة ، ويُصان عن مزلق الوهم والخيال وفي النتيجة عن خـلط المجرد بالمادي والكلي بالجزئي والحقائق بالاعتباريات.

٢ ـ رعاية النظم المنطقي للمباحث : فقد روعي النظم المنطقي إلىٰ حدٍ كبير في الكتابين المذكورين ، وبشكل عام فقد رتبت مراحلها وفصولها بحـيث تسـتنتج المطالب اللاحقة من المطالب السابقة . فمثلاً في المباحث المرتبطة بالأحكام الكلية للوجود (المرحلة الأولىٰ) قد بحثت في البداية ثلاث مسائل ترتبط بمفهوم الوجود (بداهة مفهوم الوجود والاشتراك المعنوي لمفهوم الوجود وزيـادة الوجـود عـلى الماهية) ، ثم طرح بحث أصالة الوجود والوحدة التشكيكية لحقيقة الوجود ، وقد استفاد من مسألة زيادة مفهوم الوجود على الماهية في تبيين مـوضوع البـحث في مسألة أصالة الوجود ، ومن مسألة الاشتراك المعنوي للوجود في إثـبات وحـدة حقيقة الوجود.

٣ ـ قد عولجت في هذين الكتابين المسائل المهمة والرئيسية فقط من المسائل التي طرحت في المتون الفلسفية الأُخرىٰ ، وقد أحجم عن طـرح المـباحث غـير اللازمة من قبيل المسائل المرتبطة بالطبيعيات القديمة ، ومع ذلك فقد جمع الرؤوس الكلية لمسائل طبيعيات الفلسفة ، فمثلاً المباحث المرتبطة بالجواهر والأعراض التي احتلت مجلدين من كتاب أسفار صدر المتألهين ﴿قدس سره﴾ قد بحثت بصورة مختصرة في إحدىٰ مراحل كتابي البداية والنهاية في الحد الذي يـلزم الاطـلاع عـليه لطـالب الفلسفة.

٤ ـ من خصائص البحوث الفلسفية للحكيم الطبطبائي ﴿قدس سره﴾ (وخصوصاً

كتابا البداية والنهاية) أنّه قد اجتنب بشكل كامل عن الخلط بين العلوم الاعتبارية والعلوم الحقيقية وعن الاستعانة بمنهج التجربة والحس في الفلسفة النظرية ، كما أنّه لم يستعن أبداً بالنسبة إلىٰ أية مسألة علمية بالمبادىء العقلية وطريقة البرهان النظري، ولذا فقد رفض نظرية من يعتمد على منهج الحس والتجربة لينكر الحقائق غير الحسية ، وأيضاً نظرية من يحكم في حقل المسائل التجريبية والعلمية من خلال منهج البرهان والتعقل المحض ، ويمكن أن يعد هذا الأمر من أهم الأفكار التي طرحت في القرن الحاضر في حقل علم المعرفة.

ويعتبر الفيلسوف الشهيد مطهري ﴿قدس سره﴾ من المفكرين الذين عرفوا واستعملوا هذا المنهج بشكل جيد ، فقد راعىٰ منهج الاستاذ بشكل كامل وقد شرح في مباحثه الفلسفية الأخطاء التي وقع فيها بعض الفلاسفة والعلماء المسلمين وغير المسلمين لعدم رعاية هذا الأصل.

فروق البداية والنهاية :

قد يسأل أحياناً : ما هي الفروق الموجودة بين كتابي بداية الحكمة ونهاية الحكمة ؟ فنقول في الجواب : ان هذين الكتابين قد ألفا بفاصلة زمانية بينهما خمس سنوات ، البداية في سنة ١٣٩٠ (هـ ق) والنهاية في سنة ١٣٩٥ (هـ ق) . وكما هو معلوم من أسمائهما فإن الكتاب الأول قد نظم للمرحلة الابتدائية الفلسفية والكتاب الثاني لمرحلتها النهائية . ويوجد بين هذين المتنين الفلسفيين فروقات من ناحية تنظيم وتشكيل المطالب ومن ناحية تحقيق وتحليل المسائل نشير إلىٰ بعضها :

١ ـ قد نظمت بعض المراحل الاثني عشرة فيهما بحيث قدم البعض وأخّر الآخر ، فـ« الوجود الذهني» يحتل المرحلة الثانية في البداية والمرحلة الثالثة في النهاية ، ويقع «الوجود الرابط والمستقل » في المرحلة الثالثة في البداية والمرحلة

الثانية في النهاية ويشكل « العلة والمعلول » المرحلة السابعة في البداية والمرحلة الثامنة في النهاية ، و «الواحد والكثير » في المرحلة الثامنة في البداية والمرحلة السابعة في النهاية ، و «القوة والفعل » في المرحلة العاشرة في البداية والمرحلة التاسعة في النهاية و «السبق واللحوق » في المرحلة التاسعة في البداية والمرحلة العاشرة في النهاية.

٢ ـ تلاحظ فروقات في طريقة البحث في المرحلة الأولىٰ من الكتابين حيث بحثت المسائل الكلية للوجود ،وكثير من المطالب التي طرحت في البداية كفصل مستقل قد ذكرت في النهاية كنتائج ومتفرعات لمطلب كلي ، وفي النتيجة فقد اندرجت الفصول الاثني عشر للمرحلة الأُولىٰ من البداية في خمسة فصول في النهاية ، وفي نفس الحال فقد طرحت في هذه الفصول الخمسة مطالب لم تذكر في البداية ، مثلاً مباحث : «الأحكام السلبية للوجود » و « زيادة الوجود على الماهية » و « نفس الأمر » و « مساوقة الشيئية للوجود » التي ذكر كل منها في فصل مستقل في البداية جاءت في النهاية كمتفرعات لبحث أصالة الوجود ، وجاء البحث المرتبط بملاكات تخصص الوجود (الفصل السادس في البداية) من متفرعات بحث «الوحدة التشكيكية للوجود » في النهاية وقد طرحت مسألة « المعدوم المطلق » و « عدم التمايز في الإعدام» في فصل واحد في النهاية ، ولم يُأت على ذكر بحث « بداهة مفهوم الوجود » في النهاية .

٣ ـ قد حققت المباحث في أكثر مراحل نهاية الحكمة بشكل مفصل أكثر عما جاءت عليه في بداية الحكمة ، أي قد طرحت آراء وأقوال أكثر ، فضلاً عن أنّه في قسم من المسائل قد ذكرت المسائل بشكل أعمق ، وقد أجيب أيضاً على الاشكالات والاعتراضات بشكل أدق.

وترتبط الصعوبة في فهم مطالب نهاية الحكمة بهذه الموارد أي ان مستوىٰ

المسائل المبحوثة في نهاية الحكمة هي في بعض الموارد أعلىٰ من مستوىٰ البداية إلا ان عبارات النهاية موجزة أكثر من البداية وموجبة للصعوبة في فهم المطالب، بل إذا أردنا من هذه الجهة ان نحكم، فيجب أن نقول انّه بالنسبة إلىٰ المسائل التي بحثت في الكتابين فإن عبارات النهاية هي في الغالب أنسب قولاً، ولذا يمكن الاستفادة منها لتبيين عبارات البداية كما ستشهد عليها موارد من هذا الشرح.

خصائص المرحلة الابتدائية للحكمة :

يجب أن نبحث هنا خصائص المرحلة الابتدائية للحكمة، فنرىٰ عندها ان كتاب بداية الحكمة إلىٰ أي حد يمتلك هذه الخصائص ؟ فيلزم في المتن الأول للفلسفة والحكمة رعاية الأُمور المذكورة لاحقاً :

١ ـ يلزم في كل مسألة أن يبين موضوع البحث والمفاهيم والمصطلحات المرتبطة به بصورة بسيطة، وقد روعيت هذه الخاصة في بداية الحكمة.

٢ ـ من المفيد ذكر الأقوال المختلفة في المسألة الواحدة، ولكن دراسة أدلة جميع الأقوال هي أعلىٰ من مستوىٰ المتن الابتدائي للفلسفة، ولذا يجب الاكتفاء ببيان دليل النظرية المقبولة، وتذكر الإشكالات النقدية للأقوال المخالفة في صورة اللزوم فقط، لان بحث الاشكالات المحلة لها توجب توسعة المطلب، فيصبح فهمه أعلىٰ من القدرة الفكرية لأكثر المبتدئين في الفلسفة. وقد روعيت هذه الخاصة إلىٰ حدٍ كبير في بداية الحكمة وإن كانت بعض مراحل الكتاب ـ كالمرحلة الثانية ـ فاقدة لهذه الخاصية.

٣ ـ يكفي ذكر دليين من أوضح وأحكم الأدلة المختلفة للمسألة الواحدة، ومن الأفضل الاجتناب من تعداد الأدلة وخصوصاً الأدلة الفنية كثيراً أو المبتنية على أبحاث سوف تبحث لاحقاً، وهذه الخاصة لم تراع بشكل كامل في بداية